بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة العناصر القصصية في رواية "المستنقع" لعبدالحميد جودة السحّار

على احمدى *[١]

الملخص

إنّ عناصر القصّة هي المكوّن الأساسي في تشكيل الصورة القصصية. تتكوّن كلّ قصة من عناصر مختلفة، مثل: المضمون، الشخصية، الحبكة، الحوار، المشهد، زاوية الرؤية، اللحن و اللغة. يلعب كلّ من هذه العناصر دوراً ريادياً في تطوّر القصة وتشكيلها. ويتطلّب توظيف هذه العناصر في القصة، دقة وبراعة متناهية؛ وبإمكان أي كاتب من خلال توظيفه السليم لهذه العناصر أن ينشئ علاقة حميمة مع القارئ ويجذبه إلى قلب القصة ويرافقه حتّى نهايتها. من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث عن طريق المنهج الوصفي-التحليلي أن يلقي الضوء على عناصر القصة في رواية "المستنقع" وهي إحدى الروايات الواقعية لهذا الكاتب الشهير. يظهر لنا من خلال النتائج بأنّ الكاتب قد وظّف كلّ من هذه العناصر بتقنياتها الخاصة في القصة، وقد أراد من خلال ذلك الالتفات إلى بعض الظرائف والتفاصيل الدقيقة، من ذلك، اعتبار المواجهة القائمة بين الشخصيات ومضامين القصة ضرورة لتحوّل البشر تقدّمهم نحو التميز والكمال، وقد جعل الوقائع الاجتماعية أساساً لرواياته، ووظّفها في سبيل الإصلاح وتعزيز القيم والكرامات الأخلاقية والإنسانية السامية.

الكلمات المفتاحية: الأدب القصصي، عناصر القصة، عبدالحميد جودة السحّار، رواية المستنقع.

[١]- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بيام نور، تهران، ايران: ahmadiarabic@pnu.ac.ir

١.المقدمة

إنّ "القصة" إحدى الأنماط الأدبية التي احتلّت -منذ القديم- مكانة خاصة بين الأمم والشعوب المختلفة، وهي أداة متميزة لنقل تجارب النّاس وأفكارهم وعاداتهم وثقافتهم من عصر إلى آخر. يعدّ هذا النمط الأدبي من أهم الأنواع الأدبية وأكثرها فاعلية، وإنّ البحث والتحري في بنية هذه الآداب ومضامينها أمر مهم للغاية. إنّ التفاصيل المتماسكة والدقيقة في أجواء الأعمال الفنية تميّز العمل الأدبي وتجعله ممتعاً ومثيراً للجمهور؛ التفاصيل التي يصعب تحديدها أحياناً. من هذا المنطلق، إنّ القصة -سواء كانت جديدة أو قديمة؛ فإنّها عمل فنّي يأخذ انسجامه من العناصر المركبة. بعبارة أخرى: لا يمكن أن نتصوّر أي قصة دون عناصرها المكوّنة لها. وبالتالي: تتشكّل القصة من أجزاء يُطلق عليها اصطلاحاً "عناصر القصة". «لطالما لم يتعرّف كتّاب القصة على عناصر القصة تماماً، ولم يوظّفوا مظاهرها المختلفة في قصصهم ورواياتهم، فستظلّ كتاباتهم تتسم بالضلال والتيه. اهتمّ الكتّاب الروّاد اهتماماً بالغاً بعناصر القصة في رواياتهم الأدبية، وقد اقتفوا -على قدر الإمكان- القواعد والأنظمة في هذا المجال»(ميرصادقی،١٣٨٨: ١٤٤). بعبارة أخرى: إنّ الوعي بالنسبة إلى أسلوب الكتابة والاعتماد الأمثل لهذه العناصر في القصة، يصوّر لنا قدرة الكاتب وبراعته في معالجة العمل الأدبي. وكلّما كان المبدع للعمل الأدبي أكثر حرصاً في توظيف هذه العناصر، فسوف يقدّم قصة تتميز بالأساليب الفنية والمتقنة.

ومن خلال فحص القصة وتحليلها، يُمكن للمتلقّي والمخاطب أن يتلقّى الرسائل النصية الكامنة فيها وأن يغيّر موقفه بالنسبة إلى الحياة والقضايا المختلفة. من هذا المنطلق، يعتمد الكتّاب على أدوات فاعلة ومتنوعة في التعبير عن آرائهم، ويتمتّعون بمهارات فائقة في اعتماد مثل هذه الأدوات والأساليب التعبيرية؛ وبالتالي: إنّ دراسة هذه الأصول والتقنيات القصصية وكيفية توظيف هذه العناصر القصصية المؤثرة، تؤدّي في نهاية المطاف إلى تعرّف القارئ على أسباب التذاذه بالنصّ، علاوة على استيعابه للمعاني والمفاهيم الضمنية والإشارة في النصّ وكذلك ينتبه إلى الخلل والعيوب الكامنة في النصّ القصصي. إنّ تحليل القصة يتمّ على أساس العناصر القصصية وكيفية توظيف كلّ عنصر في مسار القصة. أمّا عناصر القصة التي يمكن اعتمادها في عملية التحليل فهي: الحبكة، المضمون، الموضوع، الزمان، المكان، زاوية الرؤية، النبرة والشخصية.

يعدّ "عبدالحميد جوده السحّار" (١٩٧٤-١٩٣١م) من الشخصيات العربية البارزه والمؤثرة في الفنّ القصصي. وعلى خلال ثلاثين عاماً من العمل الأدبي، خلّف أكثر من خمسين عملاً في المجال القصصي والروائي. (شيخي، ١٣٨٨ش: ٤)؛ لذا فقد تبيّنت مواهبه الأدبية من خلال الأعمال الروائية. يعمل "السحّار" في كلّ قصّة من قصصة على خلق عالم مميز ويصوّر عدداً من الشخصيات في هذا المضمار الكبير وبالتالي يفتح نافذة على لحظة مصيرية في حياتهم. أمّا "الاتجاه الواقعي" والالتفات إلى المجتمع فهو الاتجاه الرئيسي الّذي يطمح إليه "السحّار" في رواياته. تعدّ الأحداث الاجتماعية بمثابة الإطار الذهني للـ"سحّار" في رواياته الاجتماعية الّتي اعتمدها في رواياته، وقد عمل على توظيفها في خدمة الإصلاح وتعزيز القيم الأخلاقية والإنسانية السامية.

لا يفوتنا الإشارة إلى علاقة "السحّار" المفرطة بالسينما في طفولته وما كان لها من أثر كبير على حياته العلمية والأدبيه وميله إلى كتابة القصة والأدب؛ لذا لم يقطع صلته بالسينما أبداً وقد ظهرت بعض قصصه ومسرحياته على شاشة السينما في أيّام حياته. فيلم "درب المهابيل" هو فيلمه الأوّل الّذي ظهر على شاشة السينما، ثمّ عكف على كتابة روايات أخرى للسينما مثل: "شياطين الجوّ"، "النصف

الآخر"، "مرأتي مدير عام"، "أم العروسة" و"الحفيد" وقد عُرضت جميع هذه الأفلام أيام حياته. وقد عمل الكاتب على كتابة بعض الروايات المسرحية لكي تتحوّل إلى فيلم، من ذلك رواية "نور الإسلام" الّتي قام بتأليف السيناريو والحوار بالتعاون مع "صلاح يوسف".

إنّه اختار العديد من موضوعات تاريخ الإسلام والأديان ونفخ فيها روحاً أدبية وفنية جديدة. وقد تمكّن من خلال دراساته العديدة والواسعة النطاق أن يعبّر عن الحقائق تعبيراً يمتاز بالفنّ الأدبي وأن يزيل الوهم والخرافة. وفي هذا الصدد، يُمكن الإشارة إلى أبرز رواياته التي تمتاز بالصبغة الإسلامية وأبطال قصصه هم أبطال وشخصيات إسلامية، مثل: المستنقع، وكان مساء، جسر الشيطان، الحصاد، النقاب الازرق، همزات الشيطان و ... .

٢. أسئلة البحث

١- كيف وظّف "عبدالحميد جوده السحّار" العناصر القصصية في رواية "المستنقع"؟

٢- ما هي الأوصاف التي عمل "السحار" على إبرازها في مشاهد الرواية و مضمونها؟ وهل تمكّن من بيان الأحداث بصورة ملموسة وموضوعية للقارئ؟

٣- ما مدى فاعلية عنصر "الحوار" في عرض المشاهد وتقديم الشخصيات في الرواية؟

٣. ضرورة البحث، أهميته وهدفه

يسعى هذا البحث إلى دراسة رواية "المستنقع" وتحليلها على ضوء التنمية البحثية، وبيان دور العناصر القصصية في مسار الرواية ومضمونها. وبما أنّ رواية "المستنقع" لم تخضع إلى الدراسة من الجانب البحثي حتّى الآن، يظهر لنا ضرورة هذه الدراسة؛ لأنّ التوظيف الدقيق لعناصر القصة والعلاقة القائمة بين الروائى والمخاطب تكشف الستار عن أفكار الكاتب وعواطفه وعقائده.

٤. خلفية البحث

بناء على الدراسات التي أجريت حتّى الأن، لم يتمّ كتابة أي بحث مستقل حول عناصر القصة في رواية "المستنقع" للسحّار. وفي هذا المطاف، سيتمّ الإشارة إلى بعض البحوث والدراسات التي تطرّقت إلى "السحّار" وخصائص أعماله وميزاتها:

- يوسف زيد (١٩٨٥م) في كتابه الّذي يحمل عنوان "التيّار الإسلامي في قصص عبدالحميد السحّار" تطرّق إلى دراسة الاتجاهات الإسلامية في روايات الكاتب وقد خصّص فصلاً مستقلاً لشرح روايات الكاتب الاجتماعية.

- غالي شكري (١٩٩٧م) و كتابه "أزمة الجنس في القصة العربية": تناول من خلال الكتاب، دراسة الأزمات المرتبطة بالجنس في الروايات والقصص العربية ووجه نقداً بالنسبة إلى المجتمعات المتغربة. وكذلك قد تناول في الفصل السادس من الكتاب الّذي يحمل عنوان "العربي فوق جسر الشيطان"، المضامين في أعمال السحّار بصورة موجزة، وقد أثار بعض التساؤلات حول مسألة "الجنس" في هذه الرواية.

– وحيد (١٩٦٣م) في مقاله المعنون بـــــ "سرالشيطان/عبدالحميد جودة السحار" درس المضامين المطروحة في هذه الرواية، وعكف على بيان نقاط الضعف والقوة بشأن أحداث القصة وعقد مقارنة ما بين هذه الرواية ورواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم.

– أميري والزملاء (١٣٩٣ش): في مقال لهم يحمل عنوان "تحليل داستان وسوسة الشيطان جودة السحار با توجه به تكنيک‌های داستان‌نويسی معاصر" تطرّقوا إلى مدى نجاح السحّار في هذه القصة. يظهر لنا من خلال نتائج هذا المقال بأنّ جودة السحّار أبدع في إنشاء علاقة ما بين المضمون والشكل في القصة، وقد عمل الكاتب على وضع "البطل المعادي" بزي أنيق موضع "البطل"؛ لكي يحثّ الجمهور على خلق نوع من الاتجاه النقدي في ذهنه. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وظّف الكاتب –وببراعة– عدة تقنيات قصصية معاصرة، مثل: "الفاصلة والمسافة" و"أفق التوقعات".

– صابری و يگانی (١٣٩٤ش): درسا في مقال لهما بعنوان "شخصيت انسان متدين در رمان‌های اجتماعی السحار" صورة "الإنسان المتدين" في روايات السحّار الاجتماعية. أمّا منهج البحث في المقال فهو قائم على نقد وتحليل هذه الموضوعات من وجهة نظر السحّار ومقارنتها مع آراء أشهر الروائيين العرب. ويظهر لنا من خلال نتائج المقال بأنّ "السحار" ومن خلال اعتماده على الاتجاه الإسلامي، قد صوّر الشخصية المتدينة على صورة إنسان متدين عادي يمتاز بشخصية اجتماعية إيجابية ومفعمة بالحياة والنشاط.

– شيخی(١٣٨٨ش): قد تطرّق في رسالته التي تحمل عنوان "جدال خير و شر در داستان‌های كوتاه السحار" إلى مجموعة "همزات الشيطان" كمادة رئيسة للدراسة وهي مجموعة قصصية تصوّر لنا مدى وعى السحّار ونظرته الثاقبة بالنسبة إلى الصراعات النفسية المتمثلة بالخير والشرّ في وجود الإنسان.

٥. ملخّص رواية المستنقع

"رواية المستنقع" رواية اجتماعية تمّ طبعها وانتشارها في القاهرة عام ١٩٥٧م. تدور الأحداث الرئيسة للرواية حول الظلم، طلب الثأر، والتركيز على الذات في العلاقة الإنسانية، وهي صفات بيّن الكاتب عواقبها المدمرة باعتبارها رذيلة أخلاقية. يدور موضوع هذه الرواية ومضمونها العام حول المواجهة والتعارض بين القيم الإيجابية والقيم المعادية. هذه الدراسة تناولت دراسة الشهوات وأهواء النفس وهي مسائل يعتبرها الكاتب مصدراً رئيساً للعديد من الانحرافات والرذائل الأخلاقية. كما تحدّث الكاتب في هذه الرواية عن المشاكل والمعاناة الاجتماعية وعن كلّ ما يدفع البشر للانحراف عن المسار الصحيح والكرامة الإنسانية. وكما هو بادٍ من عنوان الرواية، إنّ "السحّار" يشير في هذه الرواية إلى القضايا التي تدفع الإنسان إلى مستنقع الضلال وتتسبب في انحطاط النّاس وسقوطهم من مكانتهم الإنسانية وتحرجهم إلى وحل الغيّ والخسران. فيما يلي سوف نقدّم موجزاً وملخّصاً للرواية لكي يتبيّن لنا ملامح القصة وأحداثها بصورة واضحة وملموسة.

أمّا الشخصيات الرئيسة في الرواية فهم: سهير، أختها سوسن وفؤاد. "سهير" بنت هادئة، منطقية وهي آخر العنقود في الأسرة، وهي تظلّ معرضة لظلم أختها الأكبر "سوسن" وجبروتها. "سوسن" شخصية متمردة وحريصة وتسعى دوماً للاستيلاء على ممتلكات "سهير"، وهي تتمتّع بدعم والديها لها أيضاً، و"سهير" هي من يُطلب منها العفو والتسامح دائماً.

تتعرّف "سهير" صدفة على ولد يُدعى فؤاد في محطة المترو، وتنشأ بينهما علاقة حبّ. وبعد عدة لقاءات سرية، يقررا الزواج؛ تجنّباً من الوقوع في دائرة الإثم والخطئية. تشعر "سهير" بالقلق بالنسبة إلى معارضة والديها حول زواجها من فؤاد؛ لأنّ أختها الكبرى "سوسن" لم تتزوج بعد؛ لأنّ التقليد السائد كان يرى بأن تتزوج الأخت الكبرى أوّلاً ولم يكن غير ذلك صواباً عندهم. إنّ فؤاد يلتقي بوالد "سهير" في مقهى كان يرتاد إليه "والد سهير" دائماً؛ حتّى يستأذنه لخطبة ابنته "سهير". "والد سهير" في البداية يعرض "سوسن" على فؤاد ويقول له بأنّ "سوسن" أكبر من سهير وأجمل منها بالطبع، ولكنّ فؤاد يصرّ على زواجه من "سهير"، وفي نهاية المطاف يتمكّن من أخذ موافقة والدها للزواج من "سهير". وعندما يتقدّم "فؤاد" لخطبة "سهير" تحاول "سوسن" أن تظهر بأجمل الملابس والمكياج حتّى يفتن الضيوف ومن بينهم فؤاد وصديقه عمر وزوجته أحلام إلى تفوّقها وجمالها بالنسبة إلى "سهير" وتجذب الانتباه إلى نفسها. ومنذ اللقاء الأوّل تمكّنت من لفت انتباه "عمر" من خلال الإغراء في نظراتها ومظهرها. وفي الجلسة الأولى من حفل الخطوبة، تتمّ مراسيم الاحتفال ويصبح فؤاد وسهير خطيبين. و"سوسن" الّتي شعرت بطعن في كبريائها وأحسّت بالرفض والانعزال، تقرّر أن تفصل ما بين فؤاد وسهير، وترغم فؤاد على الزواج منها من خلال التوسّل إلى حيلة قبيحة ومغرية وبالتالي تحرم أختها من حبّ فؤاد. كان يعيش فؤاد وحيداً في بيت وسط المدينة وكانت أسرته تعيش في القرية. تستغلّ "سوسن" هذه الفرصة المتاحة وتذهب إلى زيارة فؤاد وهي مزينة بأجمل الملابس والمكياج وأطيب العطور. يستغرب فؤاد لحضور "سوسن" في بيته، لكنّها تقول بأنّها أتت لأخذ مقاس ملابسه. إنّ استسلام فؤاد أمام رغبات "سوسن" وإغراءاتها قد أودى به الأمر إلى الدخول في صفقة خاسرة من جهتين: فهو من جهة قد فقد حبّه و رغبته الصادقه بالنسبة إلى "سهير" ومن جهة أخرى أرغم على الزواج من فتاة عاش معها علاقة غيرشرعية قبل الزواج وكان هذا منافياً تماماً لرغبات فؤاد؛ لأنّه كان يأمل دائماً من الزواج بفتاة عذراء وعفيفة.

إنّ فؤاد يلتقي بـ "سهير" ويُعلن عن قراره بالزواج من "سوسن" بمنتهى العجز والأسف. تنكسر "سهير" من الداخل وتتحوّل كلّ آمالها وأحلامها إلى رماد. يذهب فؤاد مرة أخرى إلى زيارة جلال (والد سهير وسوسن) حتّى يخطب منه "سوسن" هذه المرة. كان فؤاد قلقاً من أنّ جلال سيرفض طلبه، لكنّه –وبمنتهى المفاجأة– وافق على اقتراحه فوراً؛ لأنّه لم يكن يفقه معنى الحبّ والوفاء، وكان يرى أنّ مشاعر هؤلاء الشباب واهتماماتهم طفولية سرعان ما ينسونها. وفي ذلك اليوم نفسه، يذهب جلال بفؤاد إلى بيته؛ حتّى يُلبس فؤاد خاتم الخطوبة في يد سوسن. كانت "سوسن" بمنتهى السعادة والرضى؛ لأنّها تمكّنت من فؤاد، وإنّ رؤيتها لمعاناة "سهير" كان يجعلها أكثر سعادة.

إنّ "سوسن" كشخصية شريرة في هذه القصة، تسعى جاهدة لزعزعة استقرار الكيان الأسري من خلال خداع المتزوجين من الرجال، وعندما يطمئن بالها ويستقر مقامها بأنّها قد دمّرت حياة الزوجين، حينها تتراجع ولا تهتمّ بالأمر أبداً. "عمر؛ صديق فؤاد" ضمن الشخصيات التي وقع فريسة لحيل "سوسن"؛ فكانت تجتهد –وبإصرار– أن تقيم معه علاقة محرمة. وقد كان يتوسّل مرّات إلى "سوسن" لمواصلة العلاقة معها، لكنّها كانت ترفض طلبه. من هذا المنطلق، في يوم من الأيام وعندما كان يتوسّل عمر إلى سوسن وهو قد أوقع نفسه تحت رجليها يترجّى قبول طلبه، تصرخ سوسن عالياً وتطلب منه أن يغادر البيت، حينها يفقد عمر سيطرته للحظة ويضغط على عنق سوسن؛ بحيث تقع على الأرض جثة هامدة. وفي ختام القصة نرى بأنّ فؤاد يرى نفسه مستحقّاً لجميع ما تعرّض له من مصائب؛ لأنّه آلم "سهير" وكسر قلبها المحبّ، وبعد ذلك يحيى حبّ فؤاد وسهير من جديد ويتزوّجان في نهاية المطاف.

٦. دراسة عناصر القصة

إنّ عناصر القصة لا تختصر على البنية الفنية للرواية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الأسلوب الّذي يتمّ فيه ترتيبها ودمجها من قِبل المؤلّف؛ وإنّ ذلك دلالة على قدرة الكاتب ومدى تضلّعه بالنسبة إلى فنون الكتابة القصصية. من هذا المنطلق، اعتمد "السحّار" على أقصى ما لديه من الذوق والفنّ في اختيار وتوظيف كلّ من هذه العناصر في رواياته وقد عرض كلّ منها في مجال القصة بمنتهى الدقة والملاحظة. تطرّق "السحار" في رواية "المستنقع" إلى خلق المضامين والموضوعات المتنوعة والتعليمية أيضاً واختار شخصيات ملائمة وجيدة للإدلاء بهذه المضامين في الرواية. وكذلك بالنسبة إلى العناصر الأخرى في الرواية، فقد تمّ تناولهم بنظم وانسجام دقيق مِن قِبل الكاتب وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على مقدرة الكاتب في مجال القصّ والرواية. وفيما يلي سوف نتطرّق إلى كلّ من هذه العناصر القصصية.

٦-١.المضمون

كلّ قصّة متميزة تشكّل "كلّاً" متناغماً؛ أي أنّ جميع أجزاءها متسقة ومترابطة يسعى كلّ جزء في سبيل تحقيق الغرض الرئيسي في القصة. يعدّ عنصر "المضمون" ضمن العناصر المكوّنة للتشكيل القصصي، ومثله مثل العناصر الأخرى يلعب دوراً ريادياً في بنية القصة. "مضمون القصة" الّذي يتمّ التعبير عنه أحياناً على أنّه "الفكرة الرئيسة" أو "الموضوع" أو "البلاغ الرئيسي" في القصة، يعني رؤية المؤلّف وتوجهه بالنسبة إلى موضوع القصة. (مستور، ١٣٨٤: ٣٠).

يُمكن للمضامين في القصة أن تكون متنوعة للغاية، وبناء على المكان وزمن وقوع القصة وعلى ضوء مسار الشخصيات وتحوّلها في القصة، يمكن أن نواجه مضامين مختلفة، مثل: المضمون الثقافي، الاجتماعي، السياسي، الأخلاقي، الديني و... . "المستنقع" رواية اجتماعية تتطرّق أحداثها إلى المجتمع وتختصر جميع الحوادث على أسرة واحدة. وبالتالي: يعدّ المضمون الثقافي، الاجتماعي، الأخلاقي والديني من أبرز المضامين الموجودة في هذه الرواية. وفيما يلي سوف نتناول شرح هذه المضامين وبيانها مع ذكر بعض النماذج من الرواية.

"الجنوح إلى التقاليد" من جملة المضامين الثقافية والاجتماعية التي نلحظها في رواية "المستنقع". إنّ بعض المجتمعات ترفض زواج البنت الأصغر قبل زواج البنت الأكبر في الأسرة، ويبدو أنّ هذا الموضوع شائعاً في أغلب المجتمعات العربية وبعض الأقوام الإيرانية أيضاً: «قلت لک لن يوافقوا على أن أتزوج قبل سوسن». (سحار، لاتا: ٤)

نلحظ في الحوار القائم بين فؤاد وسهير حول الإعلان عن علاقتهما والخطوبة بأنّ سهير تطرح هذا الموضوع وهي خائفة. وتقول لفؤاد: إنّي الأخت الأصغر ولم تتزوج أختي الكبرى بعد، فلن توافق أسرتي على موضوع الزواج حتّى إشعار آخر. يتكرر نفس هذا الموضوع في موضع آخر من القصة بطريقة أخرى وعلى لسان الوالد: «..... يسرني أن أعطيك ابنتي، ولكنني كأب أحب أن تتزوج الكبرى أولا.....» (سحار، لاتا: ٢٥)

يقرر فؤاد الذهاب لخطبة "سهير"، ويسمع من والدها ما سمعه منها من قبل؛ مع ذلك فإنّ الأسرة قد وافقت في نهاية المطاف على هذا الزواج! هذا يصوّر لنا أفكار المجتمع العربي التقليدي الّذي لا يزال يحتفظ بمثل هذه الأفكار. يعدّ "المضمون الأخلاقي" ضمن الموضوعات الّتي تطرّق إليها الكاتب في هذه القصة. وقد تناول مسألة "التمييز" ما جانب الآباء والأمهات ضمن أحداث القصة؛ فإنّ أسرة "سهير" كانت تدافع عن "سوسن" على الرغم من شرارتها وكثيراً ما كانوا يتشجارون مع "سهير" في حين أن "سوسن" هي من أخطأ في الأمر وكانوا يُطالبون "سهير" بالتنازل عن الموضوع. ظلّ التمييز السائد في الجوّ الأسري يُرهق "سهير" كثيراً. وبناء على حجج والدة سهير في الاعتناء الأكثر بـ "سوسن"، فإنّها تربط ذلك بكونها الطفل الأوّل والابنة الكبرى في الأسرة، وقد أدّى ذلك إلى إفسادها:

«..... إننا نقف دائماً في صفّ سوسن وننصرها عليها. ليت سهير تعرف حقيقة ما يكنه لها قلبي: إنني أحبها كما أحب سوسن، وإذا كنت أميل إلى سوسن أحيانا فلأنها تحتاج إلى رعاية أكثر. كانت البكرية فأفسدناها بتدليلنا». (سحار، لاتا: ١٤).

أمّا "الحسد" فهو المعضلة الأخلاقية الأخرى الموجودة في القصة. إنّ "الحسد" في النصوص الإسلامية بمعنى "طلب زوال النعمة من الغير"؛ أي أنّ الحسود يطلب أن تزول النعمة من صاحب النعمة. (جوهرى، ١٣٧٦: ٢/ ٤٦٥) وإن كانت تلك النعمة لا تصل إليه بالضرورة. (طريحى، ١٣٧٥: ٣/ ٣٧). نلحظ هذه المعضلة الأخلاقية بصورة واضحة وصريحة في شخصية "سوسن":

«.... وصمتت سوسن و لم‌تعد بشئ، فهي تحس راحة إذا غيرها يتألم، وتنقلب هذه الراحة نشوة إذا كانت هى مبعث ذلك الألم». (سحار، لاتا: ٦٨)

أمّا المضمون الديني فهو من المضامين التي اعتدّ به "السحّار" في قسم من آرائه وأفكاره في القصة، وهو يسعى بذلك أن يعرض الأصول الأخلاقية-الدينية والإنسانية التي يطمح في إبلاغها إلى المخاطب: «أنا واثق أن الله سيرزقک خيراً منه» (سحار، لاتا: ٢٨)

وعندما أتى من يتقدّم لخطبة "سهير" أخذ والد سوسن يهدّأ ابنته ويقول لها مطمئناً واثقاً بأنّ الله سيرزقها خيراً منه لامحالة. وقد بيّن "السحّار" من خلال الاتيان بمثل هذه العبارات في ثنايا الرواية أن يشير إلى أنّ عامة النّاس في المجتمع هم أناس مسلمون ويشعرون بحضور الله الدائم في حياتهم في جميع الأحوال والظروف.«لماذا اختاره الله هو بالذات لهذه التجربة القاسية، والمحنة التي تنقض الظهر وتلطخ الجبين بالعار؟ لماذا هو دون ملايين البشر الذي كتب عليه أن يفجع بالزوجة وأن يفجع في الصديق وأن يحتقر ويهان ويصبح سخرية الناس بدل أن تذرف من أجله الدموع؟». (سحار، لاتا: ١٨٧).

يُشير "السحار" في رواية قصة "المستنقع" إلى أنّ أحداث حياة الإنسان لا تحدث اعتباطاً وعلى سبيل الصدفة، بل كلّها مبنية على أساس تدبير رصين ويعتقد بأنّ الله يجري دوماً خلف الستار ويتدخّل -وبحكمة- في مصير الإنسان وقدره.

٦-٢. عنصر الشخصية

إنّ شخصيات القصة هي نتيجة ذهن المؤلّف وإبداعه. إنّ المؤلّف قادر على خلق الشخصيات الواقعية أو الخيالية. في الواقع، لا يتهيّأ للقصص أن تجد لها أي دلالة أو معنى دون الاعتماد على الشخصيات. إنّ الشخصية لها أقسام مختلفة، من ذلك: تقسيم الشخصيات على نوعين: الشخصية الرئيسة والفرعية. نتطرّق إليها فيمايلي:

٦-٢-١.الشخصيات الرئيسة

في الواقع، تلعب الشخصية الرئيسة الدور الأهم في القصة، وإنّ القصة تفقد مصداقيتها وقيمتها دون حضور الشخصية الرئيسة. يعتقد فتاحي بأنّ هناك شخصية أصلية ومحورية واحدة في أغلب القصص، تُلفت انتباه القارئ إلى نفسها. يظهر لنا الدور الفعال والمثير لهذه الشخصية في القصة وذلك يرجع إلى مشاركتها في الكثير من المغامرات وحضورها المؤثر في أكثر الأحداث. ومن جهة أخرى: إنّ الجمهور يشعر بالقلق والتعاطف معه بسبب المغامرات التي يخوضها والأحداث التي يتلقّاها في حياته. (فتاحي، ١٣٨٦: ١٦٤)

إنّ الشخصيات الرئيسة في رواية "المستنقع" مكوّنة على صورة مثلث (سهير، فؤاد وسوسن)، على رأسهم "سهير"، فإنّ أحداث القصة تدور بناء على هذه الشخصية ولها حضور فاعل ومؤثر في القصة مقارنة مع الشخصيات الأخرى. واجهت حياة كلّ من هذه الشخصيات الثلاثة المذكورة تقلّبات كثيرة ومتعددة في رواية القصة؛ بحيث لم يبق حال أيّ منهم على ما كان عليه في بداية القصة.

وكذلك شخصية "سوسن" (الأخت الكبرى لبطلة القصة) هي ضمن الشخصيات الرئيسة في هذه القصة. إنّها تعاني من إشكاليات متعددة ضمن هذه القصة، وكلّ ذلك يرجع إلى شعورها بالحرص والحسد والأمراض النفسية الأخرى، بحيث أنّها في نهاية القصة، تجرّ بنفسها نحو هاوية الموت.

وشخصية "فؤاد" هو الآخر يعدّ ضمن الشخصيات الرئيسة المحيطة بالأخوات وأسرة جلال؛ فإنّ جميع أحداث رواية "المستنقع" ترتبط به من قريب أو بعيد! نجاح سهير وهزيمتها، مقتل سوسن، خيانة صديقه عمر، وذهابه إلى السجن، طلاق أحلام وانفصالها عن عمر و...؛ كلّها حوادث تجري عبر هذه القصة، وإنّ فؤاد قد كان له دور مؤثر في جميع هذه الأحداث؛ إمّا بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

٦-٢-٢.الشخصيات الفرعية

على الرغم من الأهمية القليلة للشخصيات الفرعية؛ إلّا أنّ وجودها لازم وضروري في القصة؛ لأنّ وجود هذه الشخصيات تتيح لنا فرصة التعرّف وتحديد الشخصيات الرئيسة، وسيكون أجواء القصّة أكثر تشابهاً مع الحياة الواقعية. أمّا الفائدة الأخرى لحضور الشخصية الفرعية، فهو يكمن في تحويل القصة إلى فضاء طبيعي وواقعي.(فتاحى، ١٣٨٦: ١٦٤ و ١٦٥). والشخصيات الفرعية: جلال والد سهير، والدة سهير، عمر صديق فؤاد الحميم وزوجته أحلام. إنّ حضور الشخصيات الفرعية وظهورها في الكثير من أحداث القصة هي الواقع أداة يعتمدها الكاتب لتوسيع القصة وجذب المخاطب؛ فكلّما كانت الشخصيات أكثر، وتنوعها أكبر، ينخرط ذهن المخاطب وتزداد رغبة القارئ بقراءة القصة. من هذا المنطلق، إنّ الشخصيات الثانوية أقل حضوراً في أحداث القصة مقارنة مع الشخصيات الرئيسة. وعادةً تبقى هذه الشخصية على حالها منذ بداية القصة حتّى نهايتها، وإذا حدث تغيير في حياتهم أو شخصيتهم فهي تغييرات طفيفة جدّاً لا يكاد يعتدّ بها أبداً.

٦-٢-٣.الشخصيات الثابتة والمتحركة

الشخصية الثابتة كما هو بادٍ من عنوانها، تصف لنا عدم حركية الشخصية وثباتها في القصة. تظلّ هذه الشخصية على حالة واحدة ولا نشهد أية تغييرات تذكر في ظروفها أو حالتها النفسية. «إنّ الشخصية الثابتة هي تلك الشخصية الّتي لا تتغير أو يكون تغييرها تغيّراً

طفيفاً. بعبارة أخرى: تبقى الشخصية في آخر القصة كما كانت عليه في البداية ولا تتأثّر بأحداث القصة أو يكون تأثيرها تاثيراً وجيزاً لا يعتدّ به» (ميرصادقي، ١٣٦٧: ١٩٤).

إنّ الشخصيات الثابتة في رواية "المستنقع" هم: "والد سهير ووالدتها وكذلك عمر وأحلام؛ فإنّهم لا يخضعون إلا لقليل من التغييرات من بداية القصة حتّى نهايتها.

الشخصية المتحركة هي الشخصية الّتي هي عرضة للتغييرات، وقد يتغيّر أحد أبعاد شخصيته بصورة جذرية أو سطحية، وهذا التغير إمّا أن يكون إيجابياً وبنّاء أو أن يكون سلبياً وهدّاماً.

إنّ تعدد الشخصيات المتحركة يُساعد كثيراً على حركية القصة. أمّا الشخصيات المتحركة في القصة فهم: سوسن، فؤاد وسهير؛ لأنّهم تعرّضوا لأحداث ووقائع كثيرة في حياتهم ضمن هذه القصة. وكما أشرنا سالفاً: إنّ الهدف من الشخصيات الفرعية أو الثانوية هو توسيع نطاق القصة وزيادة التفاصيل في القصة، وهم في الواقع شخصيات ثابتة لا تتغيّر ملامح شخصيتهم -إلا قليلاً- مقارنة مع الشخصيات المتحركة، هذا في حين أنّ أهمّ الأحداث والوقائع في القصة هي من نصيب الشخصيات الرئيسة.

"سهير" كانت مصرّة في بداية القصة بشأن زواجها مع فؤاد؛ فإنّهما كانا يحبّان بعضهما، ولكن بعد الحوادث التي تسببت في انفصال العاشقين، انصرفت عن الزواج مع فؤاد مرغمة، وقدعانت كثيراً من أجل حبّها ورغبتها بالنسبة إلى فؤاد؛ بحيث طغت الضغوط النفسية على جميع جوانب حياتها، لكن في نهاية المطاف، وعندما باءت خيانة أختها بالفشل واعترف فؤاد بخطأه، التقيا مرة أخرى في نقطة أخرى من القصة. (سحار، لاتا: ١٩١).

فؤاد ولد رؤوف يعشق "سهير". وفي بداية القصة كان غاضباً لأنه واجه عقبة في سبيل زواجه مع "سهير"؛ لذا كان يجتهد كثيراً في سبيل الاعلان عن علاقته بسهير؛ إلّا أنّ القدر قد شاء له شيئاً آخر! تمكّنت "سوسن" من خلال الحيلة والمؤامرة أن تصرف فؤاد من الزواج مع "سهير"، و"فؤاد" قد أرغم على قول الحقيقة إلى سهير والانفصال عنها إلى الأبد. وبالتالي تزوّج "سوسن" ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً بسبب خيانة "سوسن" وحرصها الكبير وقد قُتلت على يد "عمر" صديق فؤاد الحميم، وفي نهاية القصة عاد فؤاد إلى حبّه الأوّل أي "سهير". (سحار، لاتا: ١٩١).

سوسن؛ شقيقة "سهير" الكبرى ظهرت في القصة وهي تتشاجر مع أختها الأصغر؛ حسداً ينبع عن طبيتعها الشريرة. (سحار، لاتا: ٩) فإنّها بنت حسود وشريرة تظلّ تؤذي الأخرين من حولها، وكانت تريد أن تكون اللذة لها دون غيرها من النّاس. وقد قامت بخداع خطيب أختها متوسلة إلى الحيلة والمكر وتمكنت من الزواج به وكلّ ذلك يرجع إلى حسدها بالنسبة إلى أختها. ثمّ خانت زوجها فؤاد وهي مازالت في ذمته، وفي نهاية المطاف دفعت روحها ثمناً لهذه الخيانة. (السحار، لاتا: ١٨١)

٦-٣.الحوار

يعدّ الحوار من الأساليب المهمة والمؤثرة لوصف الشخصيات والعلاقة القائمة بينهما، وهو يقدّم الكثير من المعلومات إلى المخاطب حول ما يقلقهم وكيفية التحدث وماذا يقولون لأنفسهم في الخلوة. يمكن أن يكون الحوار بين شخصيتين أو أكثر، أو يتحقق ذلك في

ذهن شخصية واحدة. في الحالة الأولى يُطلق عليه تسمية "ديالوج"، وفي الحالة الثانية يطلق عليه "التكلم المفرد أو المونولوج". (ميرصادقى، ١٣٦٤ش: ٣٦٦).

«راح يصب الوسكي في الكئوس، فقال فؤاد:

- شكراً لك! إنّني لا أشرب.

فضحک جلال ضحكة مشوبة بسخرية وقال:

- إنّني شربتُ يوم ظهرت نتيجة الإبتدائية، أقمت يومها أنا وبعض الصحاب حفلة ابتهاج بهذا النجاح.

وقال عمر لما وجده يصب الويسكى في كأسه صبا:

كفى.. إني أشربه مخففاً بالماءِ» (سحار، لاتا: ٣٦-٣٥).

إنّ الحوار المذكور أعلاه يجري بين عدة شخصيات وهو حوار يشير إلى مسألة "شرب الخمر"؛ وهو أحد المحرمات الّتي أمر الإسلام باجتنابه صراحة وقال عنه بأنّه «من عمل الشيطان» وعدّه ضمن القمار وعبادة الأوثان، ومن أسباب الخلاف والعداء والبُعد عن الله والصلاة. (سورة المائدة: ٩٠و٩١) على الرغم من كلّ ذلك، فإنّ الشخصيات قد وقعوا في هذا الحرام واعتادوا شرب الخمر في سهراتهم ومجالسهم. إنّ الكاتب يعبّر لنا عن سلوك هذه الشخصيات من خلال الحوار وبلغتهم الخاصة ويُخبر المخاطب عن أخلاقهم وعاداتهم بصورة مباشرة. وبعد ذلك يشير إلى عاقبة معاقرة الخمر ونتائجه السلبية التي قد تلحق بهم. يحاول الكاتب من خلال الحوار الّذي يجريه "جلال" أن يُظهر للمخاطب مدى غباء ذلك الرجل وغطرسته الّذي بلغ منتصف العمر وهو يرى من شرب الخمر ومعاقرتها مجلبة للفخر والكبرياء. أمّا "فؤاد" فهو الوحيد الّذي تجنّب هذا الفعل الحرام، وعلى الرغم من وجود الأرضية السانحة للوقوع في الإثم، إلا أنّه ظلّ ملتزماً بحدوده ومعتقداته الدينية والشعائر الإسلامية.

«ونظرت إلى سهير شاردة، وأحست همساً يهمس في أغوارها أنها تجور عليها. جاء شاب يطلبها، فلماذا تتمنى من كل قلبها لو أنه تقدم يطلب سوسن؟ ماذا تفعل سهير لو عرفت حقيقة مشاعرها، وماذا هي قائلة لو عرفت أنهم رفضوا شاباً جاء يطلبها لأنّه لم يتقدم إلى سوسن،. إنّها لن تغفر لي، ستصيح في وجهي قائلة إننا نقف دائماً في صف سوسن وننصرها. ليت سهير تعرف حقيقة ما يكنه لها قلبي: إنني أحبها كما أحب سوسن، وإذا كنت أميل إلى سوسن أحياناً فلأنّها تحتاج إلى رعاية أكثر. كانت البكرية فأفسدناها بتدليلنا..» (سحار، لاتا: ١٤).

إنّ هذا الجزء مرتبط بذلك القسم من القصة: عندما يأتي فؤاد لخطبة "سهير" وبما أنّ الأخت الكبرى "سوسن" لم تتزوج بعد، تتردد الأم في الردّ على الخطوبة! وعندما يحين الليل وتنام الأختان، تأتي الأم بجوارهما وتغرق في عالمها المتلاطم وتبدأ بحكاية ما يعتور في ذهنها من أفكار إلى المخاطب؛ تتكلّم الأم مع نفسها وهي مصابة بالذهول وتؤنّب نفسها وتقول: لماذا يجب عليها أن تظلم "سهير"؟ لماذا تردّ ذلك الخطيب الّذي تعشقه "سهير" لسبب واحد، أي لوجود أختها الأكبر "سوسن"؟ لماذا عليها أن تتمنى لو كان هذا الخطيب

قد جاء لخطبة "سوسن"؟ لو كانت تعلم "سهير" بذلك لكانت تكرههما. جميع هذه الأفكار كانت تدور في رأس الأم، دون أن تنبس ببنت شفة ودون أي تدخّل من جانب الكاتب أو الراوي؛ كأنّما الكاتب قد عمل على منح قدرة خارقة إلى المخاطب ليقرأ ذهن الشخصيات ويدرك ما يدور في بالهم دون أي رواية.

٦-٤.الحبكة

"الحبكة" أو الإطار «مجموعة الأحداث الّتي تمّ تصميمها بدقة وهي متراصة متلاحمة تبلغ القّمة بين ثنايا القوات المضادة ومِن ثَمّ تصل إلى النتيجة النهائية». (ايرانى، ١٣٨٠ش: ٤٢٠). يتكون عنصر "الحبكة" كأحد العناصر الأساسية في القصة من خمسة عناصر، على حسب الترتيب التالي:

٦-٤-١.العقدة

"العقدة" في القصة بمعنى وجود ظرف وحالة صعبة ومعقدة؛ بحيث تنعقد الأمور ببعضها وتؤدّي إلى سعة النزاع في القوات المضادة. (ميرصادقى،١٣٨٢: ٢٩٥).

«- كيف توافق على زواج سهير قبل أن تتزوج سوسن؟

- و ماذا نستطيع أن نفعل؟

- نعرض عليه سوسن و نقول له: إن سوسن أخت سهير.

وإذا أصر على أن يتزوج سهير نرفضه؟» (سحار، لاتا: ٢٨).

أمّا نقطة البداية في القصة فهي عندما يأتي فؤاد لخطبة "سهير"، وترفض أسرتها هذا الزواج؛ لأنّ لسهير أخت أكبر لم تتزوج بعد، ثمّ تحاول الأسرة أن يقنعوا فؤاد بالزواج من "سوسن". إنّ الكاتب يخلق العقدة الأولى من خلال هذه المصاعب والتعقيدات في بداية القصة، ويطرح أوّل سؤال في ذهن المخاطب: من منهما ستكون من نصيب فؤاد؟ سهير أم سوسن؟ وماذا ستكون ردة فعل فؤاد بالنسبة إلى هذا الاقتراح؟ وكلّ هذه الموضوعات تهيّء المجال للعناصر الأخرى في القصة.

٦ـ٤ـ٢.الصراع

"الصراع" اصطلاحاً بمعنى التقابل ما بين قوّتين أو شخصيّتين تعدّ أساس جميع الأحداث في القصة. (ميرصادقي، ١٣٨٠ش: ٧٤) إنّ هذا العنصر «يُساعد على إضفاء التمثيل الدرامي للحدث في القصة وتمنحه نشاطاً وحيوية». (جواهر، ١٣٧٢ش: ٢٩)

« - أين كنت؟

- عند الجيران.

- حتى هذه الساعة؟
- إذهب وسلهم إن كنت لا تصدقني.
- لم أعد أطيق هذا العبث، خروج دون إذن، غياب عن البيت هذا أمر لا يحتمل.
- حتام سأحتمل نزواتک وغيرتک العمياء؟ إذا خرجت أكلتک الغيرة، وإذا غبت عند الجيران قليلا نهشتک الغيرة، وإذا حادثت هذا أو ذاک قتلتک الغيرة. نظراتک كلها شک. إنني لا أستطيع أن أعيش مع رجل لايثق بي، ماذا تحسبني؟ أتظنني من بنات الهوى لأنک غررت بی؟» (سحار، لاتا: ١٣٥).

إنّ المضمون الرئيس في القصة يدور حول موضوع "الخيانة"، فكما نرى في النصّ أعلاه بأنّ الكاتب قد أسس الصراع الرئيس في الرواية على ضوء هذه المعضلة الجلية بين الزوج والزوجة (سوسن وفؤاد) وقد أدّى ذلك إلى الصراع بين هذين الشخصيتين. إنّ فؤاد يفقد ثقته بزوجته ويشك في ولائها والتزامها بعقد الزواج بناء على بعض الشواهد والوثائق الّتي يستنتجها من سلوك "سوسن". وفي هذه المرحلة من القصة، يرى الكاتب بأنّ التوتر والصراع بين هاتين الشخصيتين أمر ضروري، وبالتالي يمنحه قوة لدرجة أنّ ذلك يؤدّي إلى العنف والصراع الجسدي.

٦-٤-٣. التشويش

"التشويش" هو حالة يخلقها الكاتب للأحداث التي توشك على التطور في قصته، وتجعل القارئ حريصاً وفضولياً لقراءة بقية القصة، وتثير حماسته والتهابه. (ميرصادقی ،١٣٨٠ش: ٧٦) وقد أطلق البعض على هذا العنصر تسمية "التعليق"، "الشك"، "الانتظار" و"الحيرة" وقالوا بأنّ "الحيرة" هنا بمعنى "التردد والالتباس" وكمصطلح في المسرحيات والقصة يعني: حالة الانتظار وعدم اليقين الّذي يمرّ بها القارئ في نهاية القصة وخاتمتها. (داد، ١٣٧٨ش: ١٢٥)

«غرفة أنيقة بها مقاعد وثيرة طويلة، صنعت حشاياها من المطاط، و في ركن منها شجرة قصيرة من المعدن تدلت منها المصابيح الكهربائية، و جلس على مقعد منها جلال وإلى جواره فتاة في التاسعة عشرة، جميلة ولكنها أسرفت في زينتها، وأمامها نضد فوقه جردل به زجاجة حولها ثلج و كأسان ملئتا سائلا أشقر، وعلى مقعد قريب جلس رجل آخر و فتاة أخرى، كان الرجل أصلع الرأس تمرر الفتاة أصبعها على صلعته و ترفع الكأس إلى شفتيها بيدها الأخرى. إنها تضحك بسبب و بلاسبب، ولكن ضحكاتها كانت أشبه بالعويل....» (سحار، لاتا: ١٨٣).

إنّ الوصف المذكور متعلّق بالأقسام النهائية من القصة، حيث تُقتل "سوسن" ويريدون إبلاغ هذا النبأ إلى أسرتها، في هذا المشهد الّذي تبلغ القصة ذروتها، يعمل الكاتب مرّة أخرى لإضافة أوصاف أخرى من خلال روايته للحادث الرئيسي حتّى يُبقي على المخاطب في حالة تشويق تحثّه على المتابعة.

وبما أنّ المخاطب حريص جداً على معرفة رد فعل والد "سوسن" بالنسبة إلى مقتل ابنته ويبحث عن إجابة عن هذا السؤال، فجأة يتطرّق الكاتب إلى وصف المكان الّذي يحضر فيه "والد سوسن" وكذلك الشخصيات الحاضرة في ذلك المكان والأثاث والأشياء والكحول الموجودة في تلك الموضع، ويخوض أيضاً في وصف ظاهر الشخصيات؛ وذلك لكي يُبيّن جانباً من شخصية والد "سوسن" باعتباره رجلاً سكيّراً له علاقات محرمه مع البنات، وكذلك يجعل المخاطب في حيرة وتعليق بالنسبة إلى مصير (وماذا سيحدث) لهذه الشخصية.

٦ـ٤ـ٤. الذروة

"الذروة" أو "نقطة التحول" في المصطلح الأدبي يعني تلك النقطة التي تصل فيها الأزمة إلى المواجهة والصراع النهائيين وتؤدي إلى حلّ عقدة القصة. (ميرصادقي، ١٣٨٠ش: ٧٦)

تعدّ أحداث القصة بمثابة المقدمة والتمهيد لهذه المرحلة، وهذه المرحلة أيضاً تمهيد لمرحلة وعنصر آخر من عناصر الحبكة أي: حلّ العقدة؛ والبلوغ إلى هذه المرحلة بمعنى الوصول إلى الذروة؛ أي النقطة التي لا يعلوها شيء آخر سوى الهبوط والانحدار؛ وهذا الانحدار والهبوط هو حلّ العقدة الذي يحدث في المرحلة اللاحقة: «وخارت قواها، وراحت تنهار وهو ينهار معها حتى سقطت على الأرض وهو فوقها، يضغط على عنقها بكل ما أوتي من قوة دون أن يدري، وتتابع الطرق على الباب، واشتد دفعه ليفتح، فقد مزقت صرخة سوسن آذان جيرانها، ولكن عمر كان مشغولا عن كل ما حوله بسوسن...» (سحار، لاتا: ١٨٢).

مصير "سوسن" باعتبارها شخصية شريرة مضادة للبطل، من المسائل التي أثارت المخاطب وجعلته يحتار بشأنها؛ وذلك يعود إلى كون "الخيانة" هي المضمون الرئيس في هذه القصة وإنّ شخصية "سوسن" هي في الواقع بمثابة العامل الأساسي لجميع هذه الخيانات التي تحدث ضمن القصة. من هذا المنطلق، كانت شخصية "سوسن" منفورة من جانب البطل والشخصيات الإيجابية في القصة وكذلك القارئ والمخاطب، وبالتالي لقت عقوبتها جراء أعمالها الخبيثة وقُتلت. إنّ قتلها يعدّ بمثابة حلّ العقدة في القصة. النموذج المذكور يعرض مرحلة تسبق مرحلة "حلّ العقدة" أي الذروة في القصة ويصوّر لنا المشاهد وكيفية مقتل "سوسن"، وبذلك تبلغ القصة ذروتها من حيث المواجهة والصراع وكما تمّ بيان ذلك في تعريف هذا العنصر، إنّ القارئ يتأثّر جدّاً بهذه الأحداث ويظلّ متنهداً بسرعة وهو يلتهف تلهّفاً مضاعفاً لحلّ العقدة، وبعد هذه المرحلة، نبلغ مرحلة "حلّ العقدة" ونرى مقتل "سوسن" بصورة صريحة وواضحة. وفي هذا الآوان، لا يأتي الكاتب بأية أوصاف غير ضرورية، بل يبدأ بحلّ العقدة مباشرة؛ لأنّ أية مراوغة أو تأخير سيتسبب في الإضرار بحبكة القصة وتُبعده عن الإثارة والتشويق.

٦ـ٤ـ٥. حلّ العقدة

"حلّ العقدة" هي الحادثة أو الأحداث التي تحدث بعد نقطة التحوّل الرئيسة للحبكة في القصة، وهي بمعنى حلّ العقد في نهاية القصة والمسرحية. (ميرصادقي وميمنت، ١٣٧٧ش: ٢٣٠) «دنت منه و قد اشتد وجيب قلبها ومشى الخدر الذيذ في أوصالها و قالت في صوت مضطرب: – فؤاد

وانتفض كعصفور أزعجته طلقة رصاص، ولم يجد لسانه، و أمات اضطرابه و قلقه الكلمات التي تراقصت على شفتيه، وكان رده أن زاد اطراقا. و سارت إلى جانبه، و عجزت عن أن تكبح جماح رغباتها الثائرة الطاغية بالحنان، فمدت يدها و قبضت على يده، فارتجف و لكنه أحس راحة، وراحت يضغط على يدها. فقد تسلل إلى دياجير الظلام المتراكم في أغوار نفسه بصيص من النور، واستشعر أنه لم يعد يواجه العالم.. إنه يواجهه و يسنده قلب خافق بالحب و هذا أمضى سلاح» (سحار، لاتا: ١٩١).

أمّا أهمّ عقدة موجودة في القصة؛ وقد أشرنا إليها في قسم "العقدة" وقد ظلّت باقية في ذهن القارئ حتّى نهاية القصة وقد أثارت لديه تساؤلات كثيرة هي: إنّ فؤاد وسهير الّذان كانا محبّين وقد انفصلا إثر بعض الحوداث التي طرأت عليهما وانفصلت حياتهما لكن ظلّ حبّهما ثابتاً وخالداً، وأشار الكاتب إلى هذا الحبّ الكامن في مواضع كثيرة من القصة، هل سيُكتب لهما بالوصل والزواج أما لا؟ والأن وفي مشهد لطيف للغاية وعندما كان فؤاد قد قطع الأمل تماماً في بلوغ أمنيته ووصال حبيبته، عمل الكاتب على حلّ العقدة للمخاطب وكشف عن سرّ هذا السرّ الممهور.

٦ـ٥.المشهد

يعدّ "المشهد" عنصر آخر من عناصر القصة. يعتقد البعض في مجال كتابة القصة بأنّ المشهد عبارة عن «الظرف المكاني والزماني التي تتحقق فيه القصة». (داد، ١٣٨٥ش: ٢٩)

٦ـ٥ـ١. الزمان

يركّز السحّار على الزمان في وصفه لعناصر القصة، ويُلفت انتباه القارئ إلى زمن كلّ حادثة يذكرها ضمن القصة حتّى يدرك القارئ مرور الزمن ولا يُصاب الحيرة والتشويش.

«غابت الشمسُ وأضيئت الأنوارُ و.....، ودبت الحياةُ في خفافيشِ الأنسِ فَراحوا يتأهبون للإنطلاقِ إلى اللذةِ ليغرقوا فيها هموم النهارِ و ليفروا من أنفسِهم القلقةَ المعذبةَ» (سحار، لاتا: ٣٦).

كما نلحظ في العبارة المذكورة أعلاه بأنّ الكاتب يصف لنا الليل بصورة فنية ولا يكتفي بذكر الزمن فقط بل يعتمد صنعة التشخيص للظواهر الطبيعية حتّى يكون وصفه بصورة حيوية تتّسم بالنشاط والحركة. إنّه يصوّر لنا غروب الشمس في هذه الفقرة؛ إنّه يرى الشمس ككائن حي ويستعير لها فعل "الاختفاء"؛ كأنّ الشمس، إنسان يختفي عن النظر، ثمّ يشبّه مجيء الليل بكائن حي أيضاً ويستعير له صفة "التنفّس"؛ فكأنّما تدخل نفساً جديدة في روح الليل بمجرد غياب الشمس وغروبها. كما هو بادٍ لنا من النموذج المذكور، إنّ الكاتب يرى من الليل مصدراً لاسترخاء الشخصيات وسكينتهم؛ بحيث يتمكّنوا من الاستمتاع بهدوء الليل وأنسه بعيداً عن القلق والهموم اليومية.

٦ـ٥ـ٢.المكان

كلّ قصّة تقع في مكان ما. أمّا شخصيّات القصة فهم في تردد إلى الأمكنة المختلفة ويتحدّثون ويتحاورون مع الشخصيات المقابلة في أمكنة محددة و... في الواقع: إنّ المكان والموقع الجغرافي وكيفية توظيفه في القصة مسألة في غاية الأهمية. قصة "المستنقع" تختار

أماكنها على ضوء الأحداث والموضوع والشخصية. إنّ أغلب الأماكن الّتي وظّفها السحّار في بيان أحداث قصته هي أماكن واقعية نجدها على أرض الواقع، فيما يلي نشير إلى بعض منها:

«وقال عمر فجأة:

- ما رأيكم في أن نذهب غداً إلى كبريتاج؟

وقال فؤاد في حماسة:

فكرة رائعة». (سحار، لاتا: ١٠٤).

إنّ الفقرة المذكورة مرتبطة بذلك القسم من القصة التي يقرر فؤاد وعمر الذهاب إلى "كبريتاج" للنزهة. تعدّ "كبريتاج" من أقدم الأماكن الترفيهية في مصر وهي تقع بجانب نهر النيل. وهو نبع من المياه الكبريتية التي كان خاصة بالنبلاء والأشراف. وقد اختار الكاتب هذا المكان الحقيقي للترفيه عن الشخصيات الافتراضية في قصته.

٦.٦. زاوية النظرة

إنّ الكاتب يروي القصة، الشخصيات، الفضاء والمكان إلى القارئ من خلال زاوية النظرة التي يختارها لقصّ الرواية وبذلك يجعل القارئ في إشراف تام بالنسبة إلى جميع الأحداف في القصة.

إنّ زاوية النظرة في رواية "المستنقع" هي "الشخص الثالث" أو "الراوي العليم. إن هذا الأسلوب السردي هو أسلوب بسيط يمتاز بالمرونة. لا يقدم المؤلف كل المعلومات للقارئ بل ينقلها له شيئاً فشيئاً حتى نهاية القصة. في الواقع، إنّ "الراوي العليم" هو الّذي يروي القصة للمخاطب من الخارج وهو الشخص الّذي يشهد كلّ شيء. وعندما يكون الراوي من نوع "الراوي العليم" فإنّنا نشهد -وبكثرة- ضمير "هو" في القصة:

«ما انسلت الفكرة اليها إلا لما وجدت أن الحب قد أخفق في تأدية رسالته. ..... وتدفقت دماؤها حارة في عروقها وغمرتها نشوةوراحت تستأنف تفكيرها: إن خير ما تفعله لسهير أن تدعوها لمجتمعات فيها شبان يصلحون لها، فقربها منهم سيحرك القلب الهاجع، إنه البلسم الذي يأسو الجراح ... ». (سحار، لاتا: ١٢٢)

«ورقص قلب سوسن طربا، فطنت إلى شئ، فما جاء أبوها في هذه الساعة إلا ليتيح لفؤاد فرصة إعلان خطبته ثم يختفي ليذوب في ليالية وحياته التي يعيش لها». (سحار، لاتا: ٦٦)

بإمكاننا أن نشعر بحضور "الراوي العليم" في كلّ زاوية من زوايا هذه القصة؛ وبناء على نقل القصة وإحاطة الراوي بالنسبة إلى أحداث القصة، فمن البديهي جدّاً أن يكون الراوي من نوع الشخص الثالث في هذه الرواية.

٦ـ٧. النبرة

إنّ وظيفة "النبرة" هي نقل إحساس الكاتب ومشاعره إلى القارئ. وتحدد -أكثر من أي شيء آخر- حالة القصة وانفعالاتها وهي من عوامل الانسجام في القصة. (فولادي تالاري، ١٣٧٧: ٧٥) إنّ السحّار يختار نبرة مناسبة في روايته للقصة وذلك بناء على المضمون والموضوعات التي يتطرّق إليها ضمن القصة. ومن خلال اختيار الجمل والكلمات المناسبة لكل نبرة، نجح في نقل أحاسيس الشخصيات في القصة إلى المخاطب. تقدم قصة "المستنقع" شخصيات وحالات مختلفة في سيرها نحو التحوّل والكمال؛ من هذا المنطلق، تتغيّر نبرة الكاتب على ضوء الفضاءات المختلفة وتظهر النبرة متناسبة مع ظروف القصة وحالاتها.

«..... – رأيي يا عمي أنني أريد سهير. ..... ومشى القلق في صدر فؤاد ولفه اضطراب وخيل إليه أن إطراقة الرجل قد طالت، وتمنى أن يتحدث عمر ليخرجهم من هذا الصمت وراح يتطلع عليه يستنجده، ولكن عمر لم ينبس بكلمة». (سحار، لاتا: ٢٦).

في الشاهد أعلاه، يصوّر الكاتب مدى قلق "فؤاد" واضطرابه يوم قام بخطوبة "سهير" من والدها. ومن خلال نبرة كلام "فؤاد"، يُدرك القارئ والمخاطب مدى قلق "فؤاد" وحزنه العميق.

الإستنتاج

يظهر لنا من خلال النتائج بأنّ:

"السحّار" قد عمل على توظيف أنواع المضامين: الدينية، السياسية، الاجتماعية والثقافية في قصصة الواقعية والاجتماعية؛ خاصة في روايته التي تحمل عنوان "المستنقع". إنّه يعتمد على كلّ هذه المضامين لينقل خطابه الإصلاحي والأخلاقي إلى المخاطب ويصل به إلى معرفة واستيعاب واضح وصريح حول الظروف السائدة في مجتمعه. إنّ رواية "المستنقع" تشير إلى أنّ خطاب "السحار الإصلاحي والمعرفي لا يختصر على شعبه في "مصر" فقط؛ بل إنّ ديدنه هو إصلاح الأخلاق والمعرفة والعقلية لدى جميع البشر. يعتمد "السحّار" في رواية "المستنقع" على أساليب مختلفة في تقديمه للشخصيات من ذلك عنصر "الحوار". يُمكن ملاحظة عنصر "الحوار" في أقسام متعددة من القصة ومن خلال الشخصيات، وللشخصيات الرئيسة القسم الأوفر من الحوار في القصة. كانت "سهير" باعتبارها أهم الشخصيات الرئيسة في الرواية بنتاً محترمة وموقرة وهي مسؤلة وكانت تجتهد لكي تكون هادئة وتحتفظ بكرامتها في جميع الظروف. إنّ "السحار" لم يعمل على بيان هذه الصفات الشخصية إلى المخاطب بصورة مباشرة، بل قام بذلك من خلال الحوارات والمونولوجات القائمة مع أمّها وصديقتها أحلام ومن خلالها يُمكن التعرّف على شخصية "سهير" و خصوصياتها الأخلاقية. إنّ زاوية النظرة في هذه القصة كانت –من البداية حتّى النهاية– من منظور الشخص الثالث أو الراوي العليم. إنّ "السحار" هو من يروي القصة، ويروي القصة إلى المخاطب من الخارج، ويبلغ الجمهور عمّا يحدث وسيحدث عن طريق التعبير عن التفاصيل والتغلغل في عقول الشخصيات. من الظرائف التي نلمسها عند السحار في تقديمه للشخصيات في القصة هو أنّه قد خلق كلّ من الشخصيات: المتحركة، الثابتة، العامة والوضعية لهدف ما. و أوجد الشخصيات المتحركة لتصوير ضرورة تحوّل الإنسان نحو الكمال والنموّ إنّه خلق الشخصيات الثابتة على نوعين: الإيجابي والسلبي؛ لكي يصوّر لنا التقابل القائم بين الخير والشرّ. وإنّ ثبات هذه الشخصيات تتيح المجال للقارئ أن يشعر بهذا

التقابل من بداية القصة حتّى نهايتها. ومن جهة أخرى: إنّ الملاحظات الظريفة التي وظّفها "السحار" في أساليبه لتقديم الشخصيات هي أنّه أينما أراد أن ينتقد ظاهرة خاصة، قد اعتمد على الوصف أو الأسلوب الغيرمباشر في الإشارة إلى الشخصيات الهامشية أو الثانوية في القصة؛ حتى يتطرّق -وبصورة صريحة- إلى المفهوم الّذي يريد الإشارة إليه. من هذا المنطلق، عمل السحّار على توظيف أنواع الشخصيات بصورة هادفة وفي سبيل أهداف القصة ومضامينها. تتمتّع هذه القصة بحبكة قوية جدّاً. إنّ الكتاب يبسط بعض العقد في بداية القصّة ويطرح بعض الأسرار الخفية؛ وكلّ عنصر من عناصر الحبكة قد عملت بوظيفتها على أكمل وجه وبالتالي: يشعر القارئ أحياناً بالتعليق وأحيانا يدفعه إلى متابعة القصة وتارة أيضاً يثير فيه مشاعر التشويق من خلال مواجهته بالأزمات المحدقة بالشخصيات وفي نهاية المطاف، قد عمل الكاتب على حلّ العقد بشكل من الأشكال؛ بحيث يكون لها طابع ديني-إسلامي.

إنّ عنصر "الحوار" في هذه القصة مبنيّ على أساس الحوار الثنائي بين الشخصيات. وإنّ الكاتب -مباشرة- مع الحوار القائم بين الشخصيات، يحيط القارئ بالمعلومات حول حالة الشخصيات النفسية والفكرية وأحياناً يتّجه إلى وصف الفضاءات وبيان ملامح الشخصيات وخصوصياتهم وحالاتهم النفسية الداخلية عن طريق حديث النفس الّذي يقوم به الراوي والشخصيات الرئيسة في القصة.

اهتمّ "السحّار" كثيراً بعنصر الزمن عند توظيفه لعنصر المشهد، ومن خلال ذكره لكلّ حادثة، ينبئ المخاطب عن زمن وقوعها، وقد أظهر اهتماماً بالزمن عند ذكر كلّ حادثة حتّى ينتبه القارئ إلى الزمن وتداوله في القصة. إنّ أغلب الأحداث في هذه الرواية قد وقعت ليلاً؛ بحيث يمكن القول -وبجرأة- بأنّ الكاتب قد اختار "الليل" كفضاء أساسي لرواية القصة، وقد أشار إلى الليل لأنّ الكاتب يرى من الليل مصدراً لاسترخاء الشخصيات وسكينتهم؛ بحيث يتمكّنوا من الاستمتاع بهدوء الليل وأنسه بعيداً عن القلق والهموم اليومية و صرّح به من خلال الإشارة إلى موعد أذان المغرب وأذان العشاء، إطفاء المصابيح، غروب الشمس، الطرق المظلمة والسوداء.

المصادر

القرآن الكريم

١. ایرانی، ناصر (١٣٦٤)، القصة: التعاریف، العناصر، ط ١، تهران: دار الاوفست(الأسهم العامة).

٢. پرین، لورانس(١٣٧٨)، الأدب القصصی ،البناء، الصوت و المعنی، ترجمة سلیمانی و فهیم نژاد، تهران: دار الرهنما.

٣. جودة السحار، عبدالحمید (لا تا). المستنقع، مصر: مکتبة مصر.

٤. حسن، عبد الله (٢٠٠٥)، الواقعیه فی الروایه العربیه، بیروت، دار الفکر

٥. داد، سیما(١٣٧٨)، معجم المصطلحات الأدبیة، تهران: دار مروارید.

٦. دیبل، آنسن (١٣٨٧)،الخطة فی الروایة، ترجمة مهرنوش طلایی، ط ١، اهواز: دار الرسش.

٧. دیپل، الیزابت(١٣٨٩)، الحبکة، ترجمة مسعود جعفری، ط ١،تهران: دار المرکز.

٨. طریحی، فخر الدین (١٣٧٥) مجمع البحرین، تحقیق: سیداحمد حسینی، الطبعة الثالثة، تهران: مکتبةمرتضوی، ج ٣.

٩. غزالی، محمد بن محمد (١٣٨٣) احیاء علوم الدین، ترجمة مؤیدالدین محمد خوارزمی، ج ١.

١٠. فولادي تالاري، خیام (١٣٧٧) عناصر القصص العلمیة، ط ١، تهران: دار النای

١١. القباع، لطیفه بنت فهد (٢٠٠٦) صوره المرأة فی روایات عبد الحمید جودة السحار، السعودیه.

١٢. میرصادقی، جمال (١٣٩٠)، راهنمای رمان نویسی، ط ١، تهران: سخن.

١٣. ــــــــــــ(١٣٨٨).عناصر داستان ، ط ٣، تهران: سخن.

١٤. میرصادقی،میمنت(١٣٨٥)، واژه نامه هنر شعری، ط ٣، تهران،: کتابخانه مهناز.

١٥. یونسی، ابراهیم (١٣٧٩)، هنر داستان، ط ٦، تهران: انتشارات نگاه

١٦. یوسف، زید (١٩٨٥)، التیّار الإسلامی فی قصص عبدالحمید جوده السیّار، مصر ، المکتبه المصریه

بررسی عناصر داستانی در رمان «المستنقع» اثر عبدالحمید جودة السحّار

چکیده

عناصر داستان، اجزای بنیادین تشکیل دهنده‌ی داستان هستند. هر داستانی از عناصر مختلفی از جمله درونمایه، شخصیت، پیرنگ، گفتگو، صحنه، زاویه‌ی دید و ... تشکیل شده است هر کدام از این عناصر به نوبه‌ی خود نقش مهمی در رشد و شکل گیری داستان دارد، و به کارگیری هر یک از این عناصر در داستان دقت و لطافت های خاصی را می‌طلبد و هر نویسنده‌ای با به کارگیری صحیح این عناصر می‌تواند با خواننده ارتباط عمیق برقرار کرده و او را به بطن داستان بکشاند و او را تا آخر داستان همراهی کند. از این رو نگارنده در صدد است تا با روشی توصیفی و تحلیلی عناصر رمان «المستنقع » سحار را که یکی از رمان‌های واقع گرای این نویسنده‌ی مشهور می‌باشد، مورد تحلیل و واکاوی قرار دهد. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که نویسنده هر یک از عناصر را با تکنیک‌های خاص خود در داستان به کار گرفته و با به کارگیری آنها ظرافتها و برجستگی‌های خاصی را مد نظر داشته است از جمله این که تقابل موجود میان شخصیت‌ها و درونمایه‌های داستان را ضرورتی جهت تحول انسان‌ها و پیشرفت به سمت تعالی و رشد قرار داده است و وقایع اجتماعی را اساس رمان‌هایش قرار داده است و از آن به عنوان اصلاح گری و تقویت ارزش‌ها و کرامت‌های والای اخلاقی و انسانی بهره برده است.

کلیدواژه‌ها: رمان المستنقع اثر عبدالحمید جوده السحار ، ادبیات داستانی، روایت شناسی عربی، عناصر داستان

Investigating the elements of the story in the novel "Al-Mustangha" by Abdul Hamid Joudat al-Sahhar

Abstract

Story elements are the basic components of the story. Every story is made up of various elements such as theme, character, plot, dialogue, scene, point of view, etc. Each of these elements, in turn, plays an important role in the development and formation of the story And the use of each of these elements in the story requires special precision and tenderness, and any writer with the correct use of these elements can establish a deep relationship with the reader and draw him into the heart of the story and accompany him to the end of the story. Therefore, the author intends to analyze and analyze the elements of the novel "Al-Mustangha" by Sahhar, which is one of the realistic novels of this famous author, with a descriptive and analytical method. The findings of the research show that the author has used each of the elements with his own techniques in the story and by using them, he has considered certain subtleties and prominences, including the contrast between the characters and the themes of the story. He has placed a necessity for the transformation of human beings and progress towards excellence and growth, and he has made social events the basis of his novels, and he has used it as a means of reforming and strengthening high moral and human values and dignity.

Key words : Fictional Literature, story elements, Abdul Hamid Joudat al-Sahhar, Al-Mustanqha novel.